للغمام طباع

أراد أبو الطيب الانصراف من عنده في بعض الليالي فقال له: اجلس فجلس فأمر له بجارية ثم نهض فقال له: اجلس فجلس فأمر له بمهر فقال له الخصي: تمدح الليلة يا أبا الطيب فقال:

[الوافر]

أَعَـنْ إِذْنِـي تَـهُـبُّ الـرِّيـحُ رَهْـواً
وَيَـسْـرِي كُـلَّـمَـا شِـئْـتُ الْـغَـمَـامُ[١]
وَلٰـكِـنَّ الْـغَـمَـامَ لَـهُ طِـبَـاعٌ
تَـبَـجُّـسُـهُ بِـهَـا وَكَـذَا الْـكِـرَامُ[٢]

بدر وبحر

يمدح سيف الدولة أبا الحسن علي بن عبد اللّه بن حمدان العدوي عند منصرفه من الظفر بحصن برزويه وعودته إلى أنطاكية وقد جلس في فازة[٣] من الديباج عليها صورة ملك الروم وصور وحش وحيوان وكان ذلك في شهر جمادى الأولى سنة سبع وثلاثين وثلاث مئة (٩٤٨م):

[الطويل]

وَفَـاؤُكُـمَـا كَـالـرَّبْـعِ أَشْـجَـاهُ طَـاسِـمُـهْ
بِـأَنْ تُـسْـعِـدَا وَالـدَّمْـعُ أَشْـفَـاهُ سَـاجِـمُـهْ[٤]

= يعتذر الشاعر من ممدوحه، فرغم ما أفاضه من هبات على الشاعر ورجائه، فلا بدّ من الرحيل، فليس الأمر يتعلّق بالملل، فثمّة أمر آخر يتعلّق بأحوال الطقس السَّيّئ، فالمطر غزير، والمقام قد يطول في هذه الحالة ويُعيق الشاعر عن مقصده؛ ففي هذه الحالة من الصواب الرحيل والوداع.

(١) و (٢) الرهو: السير السهل. الغمام: السحب المليئة بالماء. يستنكر الشاعر أن يكون الأمر بيده؛ فالرياح لا تهب بإرادته وإذنه، والسحب لا تأتمر بأمره، إن الأمر يتعلّق بالممدوح الذي يجري جوده بالسرعة التي يراها مناسبة، لذا فالغمام يأتمر بأمر الأمير وذلك من طبعه، فهو الذي يفجّر سحبه بالجود المطبوع عليه.

(٣) الفازة: مظلة بعمودين.

(٤) ورد البيت في: دلائل الإعجاز، للجرجاني: ٦١، الوساطة بين المتنبي وخصومه: ٩٨، ١٥٧. الربع: الطلل. أشجاه: أحزنه. الطاسم: الدارس. سجم الدمع: هطل =